

أضواء البيان

@ 223 انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنفُسَهُمْ . . .

وكقوله بعدها : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَي النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } فهذا غاية في الاعتذار ، ولكنهم نهوا عنه وذلك يوم القيامة ، كما في قوله : { إِذْ وُقِفُوا عَلَي النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ } أي إلى الدنيا . . .

وقد نهوا عن هذا الاعتذار لأنه لا ينفعهم كما في قوله تعالى : { فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } . . .

وقوله : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } . . . وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوَّابَةً } . تقدمت الإحالة على كلام الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في بيان أنواع التوبة وشروط كونها نصوحاً على قوله تعالى : { وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً } . قوله تعالى : { زُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ }

وَبِأَيْمَانِهِمْ } . إلى آخر الآية ، تقدم بيان هذا النور وحالتهم تلك للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في سورة الحديد عند قوله تعالى : { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى زُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } . قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيَّهُمْ } . فيه الأمر بقتال الكفار ، والمنافقين والغلظة عليهم ، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل الكفار ، ولم يعلم أنه قاتل المنافقين قتاله للكفار ، فما نوع قتاله صلى الله عليه وسلم للمنافقين وبينه ؟ والله تعالى أعلم . . .

قوله تعالى : { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } أي بالقرآن لقوله قبله { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُنَا فِي ذِكْرِهِمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَتَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُّورًا } وَلَوْ شِئْنَا لَاجْعَلْنَاهُمْ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ زُجَّارًا فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } . . .

ومعلوم أن المنافقين كافرون ، فكان جهاده صلى الله عليه وسلم للكفار بالسيف ومع المنافقين بالقرآن .